الفصل السادس

نجيب.. والسودان

الفصل السادس

نجيب.. والسودان

نجيب يستقبل الزعيم السوداني
السيد / عبد الرحمن المهدي

لم يرتبط حاكم لمصر في تاريخها القديم والحديث بالسودان، مثلما ارتبط الرئيس محمد نجيب، فكلما ذكرت الوحدة بين مصر والسودان ، ذكر على الفور اسم " محمد نجيب " وكلما ذكر انفصال السودان عن مصر تذكر السودانيون أن الانفصال حدث بعد خروج اللواء محمد نجيب من السلطة، بشكل أساء لشعبي مصر والسودان معاً ، ولذلك صوت السودانيون على الانفصال بديلا عن الوحدة .

فلم يكن السودان عند محمد نجيب مجرد إقليم مجاور لمصر ولا بلد تربطنا به روابط الدين واللغة والتاريخ ..لقد كان جزءاً من جسد واحد هو

وادي النيل ، الذي يستحيل تمزيقه أو فصم عراه دون أن يصاب الجسد بالمرض والحمى .

ويقول اللواء محمد نجيب في مذكراته: " إن السودان لم يكن بالنسبة لي مجرد ارتباط عائلي ولا عاطفي ..وإنما كان أيضاً إيماناً بأهميته وضرورته لمصر ..ولم يكن مجرد فصل من حياتي وإنما هو أيضاً فصل من حياة مصر "[1].

كان محمد نجيب يدرك تماماً أن مصر والسودان قلبان يرويهما نيل واحد، وأنه في اتحاد البلدين الخير لشعبيهما وفي انفصالهما تحقيق لمطامع الاستعمار القديم والجديد ولذلك ، كانت آخر كلمات محمد نجيب وهو مصاب إصابة تقترب من الموت في حرب فلسطين 1948 "تذكروا يا أبنائي أن أباكم مات بشرف وكانت رغبته الأخيرة أن ينتقم من الهزيمة في فلسطين ويجاهد لوحدة وادي النيل "[2].

وعندما أرسل نسخة من كتابه " كلمتي للتاريخ " للرئيس الأسبق حسني مبارك كتب في الإهداء " أوصيك بالسودان خيراً " [3]، بل إن محمد نجيب أوصى قبل رحيله " بأن يدفن في السودان بجوار والده اليوزباشي (نقيب) يوسف نجيب "ولكن مبارك رفض ، وأمر بدفنه فى مقابر شهداء القوات المسلحة بصلاح سالم [4].

وقد ترسخت علاقة محمد نجيب بالسودان منذ تفتحت عيناه على الدنيا فقد ولد نجيب " بساقية معلا " بالخرطوم في 19 فبراير 1901 ، وعاش هناك سنوات طفولته وصباه كما عمل بالجيش المصري بالسودان فور تخرجه في الكلية الحربية في 19 فبراير 1918 .

كان والد محمد نجيب اليوزباشي " نقيب " يوسف نجيب أحد أبطال الجيش

---

(1) كنت رئيساً لمصر ص173 ، وراجع أيضا محمد نجيب ودوره في ثورة يوليو 1952 ، رسالة ماجستير د.رفعت يونان ، معهد البحوث العربية سنة 2000 ص 117 .

(2) كنت رئيساً لمصر ص80 .

(3) مذكرات السفير رياض سامي ، مرجع سابق .

(4) مقابلة شخصية مع اللواء حسن سالم في 8 يوليو 2002

المصري في السودان ، وقد عمل مأموراً لسجن وادي حلفا بالقرب من الحدود المصرية السودانية ، وقد تزوج يوسف نجيب من زوجته السودانية الأولى في سنة 1898 وأنجب منها ابنه " عباس " الأخ غير الشقيق لمحمد نجيب ، ولما توفيت بعد سنة تزوج من السيدة " زهرة " ابنة الأميرالاي " عميد " محمد بك عثمان الذي كان يعمل بالجيش المصري بالخرطوم ، كان شقيقها الضابط عبد الوهاب عثمان زميلا ليوسف نجيب في الكلية الحربية ، وهي في الأصل مصرية من عائلة معروفة بالمحلة الكبرى (محافظة الغربية) ، ولكنها عاشت في السودان مع عائلتها (عائلة عسكرية عريقة) ، بحكم عمل الضباط المصريين في ذلك الوقت بالجيش المصري بالسودان وقد أنجبت السيدة " زهرة " ابنها الأول محمد نجيب وتلاه على نجيب (اللواء فيما بعد) والذي صار سفيراً لمصر في سوريا وكذلك ست شقيقات هن : " دولت ، زكية، سنية ، حميدة ، نعمات ، نجيبة ، والأخ الأصغر محمود " الذي كان أستاذاً بكلية الطب البيطري بجامعة القاهرة[1].

نجيب يستقبل الزعماء السودانيين في منزله

(1) " مصير مصر " مرجع سابق .

وقد تنقل محمد نجيب في طفولته وصباه بين ربوع السودان ، فقد ولد بمنطقة " ساقية أبو معلا " ثم انتقل إلى وادي مدني وهناك دخل الخلوة (الكتاب) ليتعلم القرآن الكريم وبعد ذلك انتقل إلى بلده " سنجا " ثم " أبو نعامه " بمديرية " سنار " ثم إلى " دلفو " بمديرية حلفا ثم بمنطقة وادي حلفا ، كما درس محمد نجيب العلوم الأساسية في كلية (غوردون) بالخرطوم وهي مدرسة إنجليزية تأسست عام 1903 .

إن محمد نجيب نشأ على حب السودان وأهله ، حبا امتزج بدمه، كما أن والده قد بث فيه روح الوطنية الصادقة بما كان يحثه على قراءته من الكتب والمقالات الوطنية التي يكتبها مصطفى كامل ، وعلى يوسف، ولطفي السيد في اللواء والمؤيد والجريدة ومجلة المجلات العربية للحزب الوطني القديم، وكانت من الممنوعات في السودان .. وبما يروى له ولإخوته من مظالم الخديوي إسماعيل وإسرافه وخيانة الخديوي توفيق وارتمائه في أحضان الإنجليز ..

..وعاقب الإنجليز والد نجيب لانحيازه للسودانيين:

وكان والد محمد نجيب يكره الاحتلال البريطاني ، ويعمل ما وسعه الجهد على إحباط دسائسهم في السودان ، وإظهار دور الإنجليز في إشاعة الفرقة بين المصريين والسودانيين ، ولقد شاهد الأبناء أن والدهم تعرض للأذى أكثر من مرة لخلافه مع المفتشين الإنجليز فنقل من أقاصي السودان إلى بلاد لا تصلح لإقامة الأسرة والأولاد ،ومن النوادر التي أوقف بسببها والد محمد نجيب- وحرمته من إجازته ونقلته إلى جهة ثانية -هي طلب المفتش الإنجليزي منه جمع " العشور " وهى الضرائب التي تفرضها الحكومة على الأهالي .

وكان الوالد وقتئذ مأمورا في أبى نعامة ، وكان المطر في ذلك العام قليلا ، والمحصول ضئيل . فحاول مشايخ القبائل التماس المهلة ، إلا أن المفتش الإنجليزي الشاب أمر بسجن أحد مشايخ القبائل لاعتقاده أنه زعيم المطالبين

بالتأجيل ، وكان شيخا طاعنا في السن ، وراجع المأمور المفتش في هذا الأمر ولكنه أصر عليه في غطرسة ، فلم يسع المأمور إلا أن يضع الشيخ في السجن، ويعرب له عن أسفه لأنه فعل ذلك بأمر المفتش .

ابتسامة ثقة

وبعد قليل مر المفتش على السجن محاولا أن يتودد إلى الشيخ على الأسلوب المتبع في السودان ، وأن يفهمه بأن المأمور هو السبب في بقائه في السجن ، ثم يأمر بالإفراج عنه ولكن الشيخ بادره بصفعة من يده وقال له : " المأمور قال لي أنك أنت الذي أمرت بحبسي " . فأنكر المفتش أنه أمر بذلك ، وكان والد نجيب حاضرا ، فكذبه ، فغضب المفتش وأمر بإيقاف المأمور وعقابه بالحرمان من العمل ونقله .

كما عمل محمد نجيب في بداية تخرجه في المدرسة الحربية بالجيش المصري بالخرطوم وكان صديقه إبراهيم عبود (الفريق فيما بعد والرئيس السوداني الأسبق).

وكان ذلك منذ 19 فبراير 1918 إلى 1921 ، عندما عمل محمد نجيب

ضابط بوليس في القاهرة لمدة 16 شهرا بين أقسام عابدين ومصر القديمة وبولاق ثم عاد للعمل في الجيش المصري بالسودان في منطقة بحر الغزال حتى عام 1923 ، وأثناء عمل محمد نجيب في القاهرة لم تنقطع صلاته يوماً واحداً بالسودان فقد كانت صلاته لا تنقطع بالمواطنين السودانيين خاصة (علي عبد اللطيف) ومجموعة من جمعية اللواء الأبيض (وهي جمعية سرية تألفت ضد الإنجليز) وكان منزل محمد نجيب في القاهرة مستقراً لكل زعامات النضال السوداني وتياراته سواء في جاردن سيتي أو في سراي القبة أو المنيل وكان يحرص على زيارة الزعماء الدينيين (عبد الرحمن المهدي والسيد عثمان الميرغني) كما عمل بعض الضباط السودانيين مع محمد نجيب تحت قيادته في حرب فلسطين 1948 .

وكانت السفارة البريطانية ترسل تقارير سرية لوزارة الداخلية المصرية تحذر فيها من نشاط الضابط محمد نجيب الذي يجمع السودانيين في بيته لمناقشة المسائل السياسية وتكدير الأمن العام[1].

قصة الكتاب الذى تنبأ بتقسيم السودان:

وقد تنبه اللواء محمد نجيب مبكراً للأهمية الإستراتيجية للسودان بالنسبة لمصر وضرورة التكامل بين البلدين عندما ألف كتاباً سنة 1943 بعنوان "ماذا يجري في السودان " وكان وقتها برتبة بكباشي (مقدم) وقائد لألأي الثاني سيارات الحدود الخفيفة وعقب عليها بمجموعة من الرسائل مثل " يد الاستعمار على حدود السودان " ، وختمها برسالة عن " اللغة والأدب في جنوب الوادي "[2].

ويقول محمد نجيب في هذا الكتاب .. "إننا في أشد الحاجة إلى تلقين أحوال السودان وشئونه كجغرافيته واقتصادياته وتاريخه واجتماعياته لأبناء مصر

(1) كنت رئيساً لمصر ص68 .
(2) رسالة عن السودان ص4 وما بعدها .

من طلبة العلم وعامة الشعب " ، ومع أن أهل السودان وظمأهم إلى الاغتراف من منالها ولإيمان الأغلبية الساحقة منهم بضرورة وحدة وادي النيل بينما لا ينقطع سيل الزوار السودانيين لمصر طوال العام يندر أن يفكر مصري في زيارة السودان أو حتى في قراءة الصحف السودانية لمعرفة أحواله ، مع ما لذلك من أثر عظيم في تقوية الروابط"[1].

وفي هذا الكتاب (أو الدراسة العلمية الجادة والخطيرة ، كشف محمد نجيب أبعاد المؤامرة الاستعمارية على السودان فقال : "إنهم يخططون لتقسيم السودان إلى ولايات خمس أو ست يبذرون بينها بذور الفتنة والبغضاء لإضعافه وإخضاعه لحكمهم وقد يتذرعون بميثاق الأطلنطي الذي ينص على تقسيم العالم إلى دويلات كل مجموعة منها تتألف من عناصر متجانسة متآلفة :

1 - فيضمون جنوب السودان إلى أوغندا وكينيا وغيرهما مما سلخوه من الإمبراطورية المصرية العظيمة ليؤلفوا من ذلك جامعة زنجية مسيحية يحاربون بها العرب والإسلام وهذه أعمالهم في جنوب السودان منذ استرجاعه سنة 1898 إلى الآن كلها تشهد ذلك .

2 - وقد يسلخون شرق السودان (كسلا والبحر الأحمر) وسكانه هم قبائل البيجا(Begaor Bega)كالبشارين والهدندوه (Hadandowa) وبني عامر وغيرها ويضمون إلى ذلك جزءاً من الأريتريا وبعض أنحاء الحبشة والجالا (Gala) في غرب الحبشة وقد صرح بعض رجالهم المسئولين فعلا بما يشبه ذلك لبعض الزعماء من السودانيين فقالوا إنهم سيضمون الإيطاليين (Basso Piano) وربما ضموا إليها إقليم الدناقل (Danakala) الذي يمتد على ساحل البحر الأحمر من حدود السودان إلى ميناء عصب ومن الأسباب التي يعللون بها ذلك وضع القبائل التي تقيم على الحدود تحت إدارة واحدة لمنع الشقاق بينها .

(1) رسالة عن السودان ص4 وما بعدها .

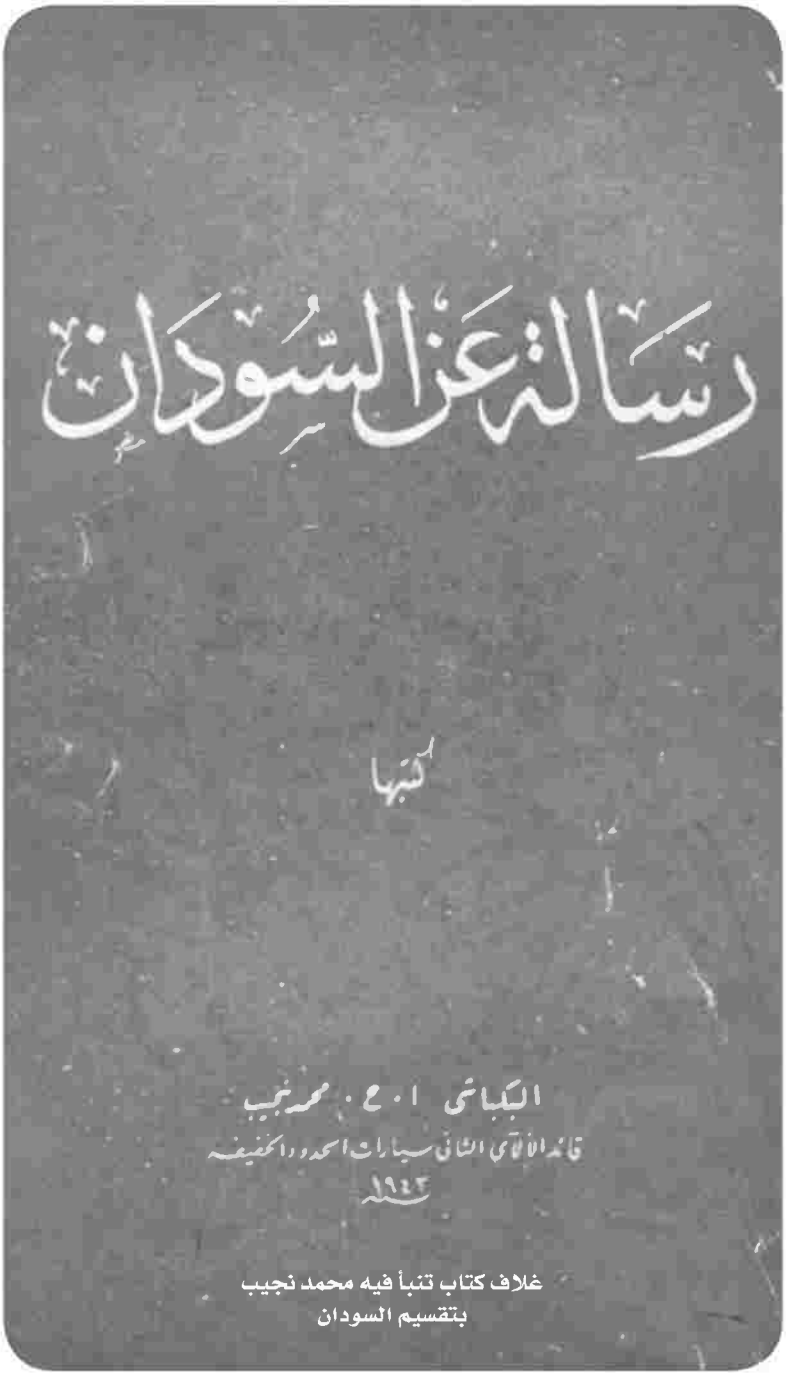

غلاف كتاب تنبأ فيه محمد نجيب
بتقسيم السودان

3 - وقد يفصلون كردفان ودارفور على أن يولوا على الأولى السير " محمد علي التوم " ناظر قبائل الكبابيش، وعلى الثانية إبراهيم موسى ماديو زعيم قبائل الرزيقات .

4 - كما يولون على باقي السودان الممتد على النيل من حدود مصر الجنوبية إلى الجبلين (خط عرض 12 شمالا) زعيماً آخر أو يقسمون هذا الجزء من شمال دنقلا إلى أقسام يؤلفون منها اتحاداً تحت إشرافهم وسلطتهم وبذلك يصبح السودان هنداً ثانية[1].

لقد أدرك محمد نجيب مبكراً أهمية الوحدة بين مصر والسودان وأن دونها الموت ..ولذلك حرص أثناء وجوده على رأس السلطة في مصر (يوليو 1952– نوفمبر 1954) أن ترتبط مصر بالسودان وحدة ومصيراً وعندما وقع اللواء محمد نجيب اتفاقية السودان مع الحكومة البريطانية كان يريد تحقيق آمال السودانيين في الاستقلال عن الاستعمار البريطاني وتحقيق حكم ذاتي كامل مع عقد استفتاء حول الارتباط بمصر على أية صورة أو الانفصال الذي سمي بـ (الاستقلال التام).

وقد سبق اتفاقية السودان اتفاقيات عديدة سعى إليها اللواء محمد نجيب لتحقيق الوحدة بين الأحزاب السودانية ، ففي 2 نوفمبر من العام 1952 نجح محمد نجيب في عقد اتفاق الأحزاب السودانية التي تقوم على أساس الجلاء والاتحاد مع مصر عن طريق تقرير المصير للسودانيين ، وانتهى إلى تكوين حزب واحد تحت اسم " الحزب الوطني الاتحادي " واندمجت فيه 8 أحزاب سودانية وهي (حزب الأشقاء بجناحيه ، حزب وحدة وادي النيل ، وحزب الأحرار الاتحاديين ، مؤتمر الخريجين ، الحزب الاتحادي ، مؤتمر السودان، الجبهة الوطنية)[2].

كما نجح اللواء محمد نجيب في توقيع اتفاقية أخرى بين الأحزاب

(1) رسالة عن السودان ، مرجع سابق .
(2) وراجع أيضاً مقال عباس الطرابيلي " المؤامرة على السودان مستمرة " جريدة الوفد عدد 6 مايو 2004

السودانية المتنافسة (الوحدوية الانفصالية) مثل الحزب الوطني الاتحادي وحزب الأمة والحزب الوطني والجمهوري وذلك في 10 يناير 1953 ، واتفقت تلك الأحزاب فيما بينها على الاقتراح المصري بشأن جنوب السودان ومسألة استبدال الموظفين المصريين والبريطانيين في السودان بعد فترة الانتقال بعناصر محايدة ، وضرورة جلاء القوات البريطانية والمصرية قبل إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية كما تم الاتفاق على أن تكون الانتخابات مباشرة في كل من السودان ، وقد حضر من الأحزاب السودانية إسماعيل الأزهري ومحمد نور الدين الدرديري عثمان عن "الحزب الاتحادي" وزين العابدين صالح ، والدرديري محمد أحمد "الحزب الجمهوري" وصديق عبد الرحمن وعبد الله خليل وعبد الرحمن على طه " حزب الأمة " ويحيى محمد عبد القادر " الحزب الوطني "[1].

كانت وجهة نظر محمد نجيب أنه لابد من (وحدة وادي النيل)، وأن السودان لا يجب بأي حال من الأحوال أن ينفصل ويصبح دولة حرة ذات سيادة، وأن السودان لابد وأن يتحد مع مصر. دارت مناقشات طويلة بين هؤلاء الضباط المصريين دون أن يشركوا أحدا من السودانيين - أيًّا كان مركزه ووضعه السياسي- في مناقشاتهم. كان المجلس يهدف أولا إلي مناقشة موضوع السودان فيما بينهم كمصريين واتخاذ موقف واضح يتفقون عليه قبل مناقشته مع الأحزاب السودانية التي كانت في ذلك الوقت تنادي بالاستقلال.

محاولة اغتيال نجيب فى السودان:

قرر الرئيس محمد نجيب السفر للسودان بدعوي وجهها له الراحل إسماعيل الأزهري الذي كان يشغل وقتها منصب رئيس وزراء للحكومة المؤقتة، وتم تحديد مواعيد الزيارة للسودان في اليوم الأول من شهر مارس 1954، وهو اليوم الذي كان مقررا فيه افتتاح البرلمان بالخرطوم، ودعوة الرئيس المصري كانت بهدف تعريف نجيب بوجهة نظر الأحزاب السودانية فيما يتعلق

(1) كتاب قاموس الثورة المصرية ، أحمد عطية الله ، مكتبة الأنجلو 1954 .

بموضوع الاستقلال، وأثناء وجود نجيب ووفده بمطار الخرطوم وقعت أحداث دامية بساحة المطار.

وتقول تقارير وزارة الداخلية وقتها: إن مجموعات مسلحة تنتمي لحزب الأمة قد حاولت الدخول عنوة لداخل المطار بهدف اغتيال الرئيس نجيب وأعضاء حزبه، وجلاء القوات البريطانية والمصرية من البلاد.

الرئيس نجيب مع سيدات العمل الخيري في طريقه لمشروع ازرع شجرة

وتقول تقارير أخري، إن الحاكم العام البريطاني بالخرطوم روبرت هاو هو الذي دبر بنفسه وخطط لعملية الفوضى بالخرطوم أثناء زيارة محمد نجيب والوفد المصري ، ويحولها لمعركة تراق فيها دماء السودانيين ، لتشيع الفتنة بين رؤساء الأحزاب السودانية وبين القادة المصريين فيتوهم كلاهما أن السودان بلد (لم ينضج بعد) ومازالت الفوضى فيه سائدة!.

فشلت زيارة محمد نجيب للسودان بعد أن اجتمع بكل رؤساء الوطنية وناقش معهم (مشكلة السودان) وكان هذا اسمه بالملفات المصرية الإنجليزية، وجد نجيب أن كل من اجتمع معهم لايفضلون الوحدة ويطلبون حقهم في تقرير مصيرهم بلا ضغوط أو إغراءات من الخارج. موقف الراحل السيد علي الميرغني زعيم طائفة الختمية كان واضحا منذ إذاعة بيان مجلس قيادة الثورة المصري الأول بأنه يؤيد اتحاد السودان مع مصر.

رجع محمد نجيب للقاهرة واجتمع مع مجلس قيادة الثورة وأطلعهم علي حقيقة الأوضاع في السودان ورأي قادة الأحزاب السودانية الذين يفضلون عدم الوحدة مع مصر.

وأوضح محمد نجيب أن خطواته الأساسية الأولي كانت تستهدف جمع السودانيين بمختلف أحزابهم علي موقف موحد تعاونهم فيه مصر .

ثمن الجلاء:

عندما أقدم أعضاء مجلس قيادة الثورة على توقيع معاهدة الجلاء بين مصر والحكومة البريطانية في 27 يوليو 1954 ، كان اللواء محمد نجيب لا يزال على رأس السلطة لكن الملاحظ أن أعضاء مجلس الثورة انفردوا بتوقيع المعاهدة من دونه ، بعد الخلافات التي اشتعلت بين معسكري الديمقراطية والديكتاتورية في مجلس الثورة عقب أزمة مارس 1954 ، ومما يؤسف له أن تلك الآمال العريضة التي كان الشعبان ينتظران في شغف قرب الإعلان عنها لم تكن الأحوال السياسية في مصر تساعد علي تحقيقها ففي أعقاب أزمة مارس1954 وفي إثر حدوث محاولة اغتيال جمال عبدالناصر رئيس وزراء مصر وقتئذ في ميدان المنشية بالإسكندرية يوم26 أكتوبر استغل مجلس قيادة الثورة هذه الجريمة الفردية للإطاحة بقائد الثورة محمد نجيب فصدر القرار في14 نوفمبر بإعفائه من منصب رئيس الجمهورية برغم أنه كان وقتئذ منصبا فخريا لا يمنح صاحبه أية سلطات في يده وبرر المجلس ذلك بأن بعض المتهمين في القضية رددوا بأن محمد نجيب كان علي صلة بالإخوان المسلمين وتغافل مجلس الثورة عن العواقب الخطيرة والآثار الضارة التي ستلحق بقضية الاتحاد الخالدة بين الشعبين الشقيقين في سبيل تحقيق غرض زائل وهو ضمان الاستمرار في ممارسة السلطة في مصر والبقاء في الحكم[1].

وتمكن جمال عبد الناصر " البكباشي " من التخلص من معارضيه بعد

(1) كتاب قاموس الثورة المصرية ، أحمد عطية الله ، مكتبة الأنجلو 1954 .

تصفية سلاحي الفرسان والمدفعية ونفى خالد محيي الدين ونقل ثروت عكاشة للعمل كملحق عسكري في الخارج وكذلك التخلص من الإخوان المسلمين وغيرها من الترتيبات !!

الرئيس نجيب يتفقد وحدات
الجيش مع البكباشي عبد الناصر

وهكذا خلت الساحة المصرية من جميع القوى المعارضة ولم يعد هناك حائل دون تمرير معاهدة الجلاء المصرية البريطانية والتي كانت أجهزة الإعلام تضرب بشدة على نغمة الجلاء وتزف إلى الناس أخبار المفاوضات التي يخوضها مجلس الثورة في شجاعة واقتدار لإنهاء الاحتلال البريطاني وفي هذه الزفة الإعلامية الكبرى ضاعت أو ذابت مشكلة وحدة وادي النيل وما يضمره الإنجليز لهذه الوحدة فقد كانت المعاهدة تحمل نصاً صريحاً يلزم مصر بقبول تقرير المصير في السودان أي إعطاء السودانيين حق الاختيار بين الاستمرار في الوحدة مع مصر أو الانفصال عنها وكانت كل المفاوضات التي جرت بين الحكومات المصرية والبريطانية طيلة ثلاثة عقود على الأقل تتحطم عند هذه النقطة ، فقد رفضت كل الأحزاب وكل الساسة المصريين المستقلين الذين فاوضوا بريطانيا هذا النص وتشبثوا بوحدة وادي النيل حتى أن إسماعيل صدقي (باشا) رفض التفريط في السودان وجعل القضية

السودانية في بروتوكول منفصل ألحقه بمشروع (صدقي ..بيفن) تلك المعاهدة التي رفضها حزب الوفد[1] وقد سقطت وزارتان وفديتان بسبب الدفاع عن حقوق السودان ، وصرح مصطفى باشا النحاس بعبارته الشهيرة "تقطع يدي ولا تقطع السودان عن مصر " ، ولكن أعضاء مجلس قيادة الثورة اندفعوا في توقيع اتفاقية فبراير 1953 مع بريطانيا ، والتي تنص على تخيير السودان عند تقرير مصيره بين الاستقلال التام أو الاتحاد مع مصر .

وأثارت الإطاحة بمحمد نجيب وتقييد حريته الشخصية بهذه الطريقة المهينة مشاعر السودانيين الذين كانوا يعتبرونه رمز الاتحاد بين البلدين فضلا عن خشيتهم مما سوف يحيق بهم إذا ما اتحدوا مع مصر بعد أن رأوا ما ارتكبه أعضاء مجلس الثورة ضد رئيسهم وقائد ثورتهم لذا بدأ ابتعادهم تدريجيا عن قضية الاتحاد مع مصر.

وقد كشفت برقيات السفارة الأمريكية فى الخرطوم آثار عزل الرئيس محمد نجيب على انفصال السودان من خلال النصوص التالية:

من: السفارة الأمريكية، الخرطوم

إلى: وزارة الخارجية، واشنطن

الموضوع: السودانيون وعزل نجيب

التاريخ: 27-11-1954

"غضب السودانيون وحزنوا عندما سمعوا خبر عزل محمد نجيب، رئيس الجمهورية في مصر، وتولى جمال عبد الناصر، رئيس الوزراء، منصبه، بعد خلافات بينهما استمرت ربما منذ أول يوم لثورة 23 يوليو سنة 1952.

تطور الغضب والحزن أكثر مما توقعنا. وصارت لهما أبعاد سياسية.

ظل نجيب أكثر زعيم مصري تحبه أغلبية السودانيين. وحتى لو ثبت أن

(1) المرجع نفسه في رقم (10) .

محمد نجيب كانت له صلة بمؤامرة دبرها الإخوان المسلمون ضد عبدالناصر، لن يصدق السودانيون ذلك. بل يعتقد السودانيون أن عبد الناصر ما كان سيعيد محمد نجيب، عندما اختلفا في السنة الماضية، لولا أنه كان يعرف حب السودانيين له.

الرئيس نجيب والحفاظ على اللُحمة الوطنية

ويعتقد السودانيون أن عبد الناصر وصلاح سالم، رغم الخلافات بينهما، تحالفا ضد محمد نجيب.

في جانب، يخاف الأزهري والاتحاديون من أن يقدم عبد الناصر محمد نجيب للمحاكمة، لأن ذلك سيؤثر على تحالفهم مع مصر. خاصة أن الأزهري ربما يريد الآن، بدلا عن الاتحاد الكامل لمصر والسودان، اتحادا كونفدراليا بين مصر والسودان، يسمى "جمهورية وادي النيل". و يتبادل فيه مصرى وسوداني رئاسة الاتحاد.

لكن، إذا عزل المصريون رئيسهم محمد نجيب، ما هو الضمان أنهم لن يعزلوا رئيسا سودانيا؟

في الجانب الآخر، لا يبدو أن حزب الأمة حزين بما حدث لمحمد نجيب. لكنه يرى أن ما حدث ستكون له نتائج سياسية هامة على السودان؛ لأن ما

حدث يدل على أن مجلس قيادة الثورة في مصر: أولا: غير مستقر. ثانيا: غير مسئول ... "

لماذا غضب زعماء السودان من مجلس الثورة؟

" ... وقال لي محجوب عثمان، صحفي في جريدة "الأيام"، أنه سأل مبارك زروق، نائب الأزهري، ووزير المواصلات، عن ما حدث لمحمد نجيب. وأن زروق قال له: "سيؤثر ذلك تأثيرا مباشرا على تأييد السودانيين لاتحاد وادي النيل."

وأصدر السيد الصديق المهدي، رئيس حزب الأمة، بيانا قال فيه: "يجب أن يكون ما حدث لمحمد نجيب درسا للذين يريدون الاتحاد مع مصر."

وقال لي خلفاء مؤيدون للسيد على الميرغني أنه اتصل بأعضاء في مجلس قيادة الثورة في مصر، وحصل على ضمانات بعدم إعدام محمد نجيب. ورغم أن هذا يبدو أمرا مبالغا فيه، فقد أصر الخلفاء على أنه حقيقة.

وقاد شيوعيون مظاهرات ضد عزل محمد نجيب. ونشروا شائعات بأن الولايات المتحدة وراء ذلك. وقالوا إن كافري، السفير الأمريكي في القاهرة، هو الذي أمر جمال عبد الناصر بعزل محمد نجيب. وأن السفير يريد تأمين موقف عبد الناصر كحاكم ديكتاتوري في مصر ...

رأينا:

أولا: وكان الأزهـري لم يكن في موقف حرج، زاد عزل محمد نجيب من حرجه. ومن الضغط عليه ليحدد هل يريد الاتحاد مع مصر، أو الاستقلال؟

ثانيا: زاد عزل محمد نجيب الاختلاف داخل الحزب الوطني الاتحادي بين جناح الأزهـري وجناح الختمية، وصار الختمية يميلون أكثر نحو الاستقلال التام.

ثالثا: أكثر ما يدعو للقلق هو أن الشيوعيين استغلوا عزل محمد نجيب لتسيير مظاهرات، وزيادة نفوذهم في السودان ... "

الرئيس يتفقد كتائب القوات المسلحة

حل الحزب الشيوعي:

من: السفارة الأمريكية، الخرطوم

إلى: وزارة الخارجية، واشنطن

الموضوع: زيادة نشاط الشيوعيين

التاريخ: 10-9-1954

"مؤخرا، زاد قلق الأزهري ووزرائه من زيادة نشاط الشيوعيين. وأكد لي بعض الوزراء ذلك.

يوضح هذا تغييرا في موقفهم. في بداية السنة، قالوا لي إنهم لا يخافون

من أن يسبب الشيوعيون مشاكل حقيقية في السودان، وأنهم عارضوا مشروع قانون في البرلمان لحل الحزب الشيوعي.

لكنهم، مؤخرا، قالوا لي إن الشيوعيين يزيدون أنشطتهم وسط نقابات العمال، واتحادات المزارعين، وفي قيادة مظاهرات في شوارع الخرطوم. وأن الأزهري ربما سيصدر قانونا لمواجهة ذلك. وأن أحمد حسن، المدير الجديد لقسم الاستخبارات، أرسل إلى عدن لمدة أسبوعين ليدربه البريطانيون هناك على طرق مواجهة الأنشطة الشيوعية.

ثلاث مرات خلال الأسبوع الماضي، غارت شرطة الاستخبارات على قيادات خلايا شيوعية في منطقة الخرطوم، وعثرت على منشورات وخطابات ضد حكومة الأزهري.

وقال لي محمد أحمد محجوب، زعيم المعارضة، إنه لا يقلق كثيرا على زيادة نشاط الشيوعيين. وأنه شخصيا سيعارض أي قانون لحل الحزب الشيوعي. وذلك لأنه يرى أن أفضل طريقة لمواجهة الشيوعيين هي مزيد من الديمقراطية، ورفع مستوى معيشة المواطنين ... ".

البرقية (2)

من: السفارة الأمريكية، الخرطوم

إلى: وزارة الخارجية، واشنطن

الموضوع: مناقشات وسط الوزراء

التاريخ: 29-9-1954

"في تصريحات صحفية وفي مقابلات خاصة، اختلف عدد من الوزراء في حكومة الأزهري حول الاستقلال أو الاتحاد مع مصر.

قال خلف الله خالد، وزير الدفاع، أن الظروف لم تعد تدعو للاتحاد مع مصر. وأن على السودان أن يتجه نحو الاستقلال.

لكن، رد عليه يحيى الفضلي، وزير الشئون الاجتماعية، والذي يستعمله الأزهري لمناكفة الآخرين. وقال إن خالد لا يملك حق الحديث باسم الحكومة. وهنا تدخل الأزهري، وقال: إنه هو وحده، وأي شخص معين يحدده، يملكان حق الحديث باسم الحكومة. واستهزأ خالد من دور الفضلي في الموضوع. وقال تصريحات مناكفة للفضلي.

ووجد خالد الختمي تأييدا من ختمي آخر: الدرديري محمد عثمان، مستشار السيد على الميرغني، الذي قال: إن الختمية صاروا يفضلون الاستقلال.

في وقت لاحق، هدأت المواجهة بين الفضلي وخالد. وقال الفضلي إنه، نفسه، لم يعد متحمسا للاتحاد مع مصر، وأنه صار يؤيد الاستقلال.

وكشف لي وزراء في حكومة الأزهري ثلاثة أسرار كبيرة:

السر الأول: أنهم عقدوا اجتماعات مع مسئولين مصريين، وقالوا لهم إن المصريين يجب أن يستعدوا لتحول هام في مستقبل السودان، وهو أن السودانيين لم يعودوا يريدون الاتحاد معهم، وأن الذنب ليس ذنب الأزهري، ولا ذنب الحزب الوطني الاتحادي. ولكن الشارع السوداني هو الذي لم يعد يريد الاتحاد.

وطلب مني هؤلاء الوزراء أن أحفظ هذا السر. قالوا إن نشره سيؤذي جمال عبد الناصر، لأن الشارع المصري سيتهمه بأنه "فقد السودان".

وكشف لي هؤلاء الوزراء سرا ثانيا:

قالوا إنهم يخططون لإرسال وفد إلى القاهرة لمقابلة جمال عبد الناصر، وإقناعه بأن يصدر بيانا، باسم الشعب المصري، يرحب بحق السودانيين في تقرير مصيرهم. حتى إذا قرروا الاستقلال، وأن على المصريين قبول رغبة أشقائهم في جنوب وادي النيل.

وكشف لي هؤلاء الوزراء سرا ثالثا:

توقيع اتفاقية السودان مع بريطانيا
1953/2/12

قالوا إنهم سيتصلون مع قادة حزب الأمة، الذي ظل يدعو للاستقلال من البداية. وسيبحثون معهم إمكانية إعلان الاستقلال من داخل البرلمان الحالي، بدون انتظار انتخابات لبرلمان جديد ... "

تكشف برقية السفارة الأمريكية أنه حسب اتفاقية سنة 1953 بين مصر وبريطانيا لتقرير مصير السودان، أجريت، في نفس السنة، انتخابات أول برلمان، وأول وزارة. وكان مقررا أن تجرى، بعد أربع سنوات، انتخابات ثانية لانتخاب جمعية تأسيسية، تكتب الدستور، وتقرر مصير السودان: اتحاد مع مصر، أو استقلال؟

لكن، كما أوضحت هذه الوثيقة سنة 1954، بدأ الأزهري والاتحاديون يميلون نحو الاستقلال. ولهذا، بدأت مشاورات لإعلان الاستقلال من داخل البرلمان. ولإجراء انتخابات الجمعية التأسيسية، وكتابة الدستور في وقت لاحق[1].

(1) كنت رئيساً لمصر، مرجع سابق.

لقد بات واضحا كما يشير الدكتور أحمد زكريا الشلق أن مجلس قيادة الثورة تأخر كثيرا في منح موضوع السودان الاهتمام الجدير به، وأنه بدأ يناقش ما انتهت إليه الأمور بعد فوات الأوان، فقد جرت مياه كثيرة في النهر، كانت فى صالح استقلال السودان وعدم الارتباط بمصر بأي درجة من درجات الاتحاد، الأمر الذي بدد الأمل فى ذلك خلال الفترة الانتقالية، خاصة بعد أن أخذت إجراءات السودنة مداها. وقد أبلغت حكومة إسماعيل الأزهري حكومتي مصر وبريطانيا رغبة الجمعية التأسيسية ومطالبتها بسحب جيش الاحتلال لإجراء الاستفتاء فى جو حُر محايد، فسحبت مصر وبريطانيا جيشيهما، وتركت مصر كل الأسلحة الثقيلة التى كانت تخص جيشها للسودان، وتم الجلاء فعلا فى نوفمبر 1955. ووجدت الحكومة السودانية أن الأمر لا يحتاج إلى إجراء استفتاء بشأن شكل الحكم بعد اتفاق كل الأطراف الحاكمة على معارضة الاتحاد، وأعلنت قيام الجمهورية السودانية فى 19 ديسمبر 1955. ولم يجد مجلس قيادة الثورة في مصر داعيا للمطالبة بإتمام الاستفتاء[1].

وفي أول يناير1956 عقد البرلمان السوداني جلسته التاريخية التي أعلن خلالها رئيس الوزراء إسماعيل الأزهري استقلال السودان ثم أخطر أعضاء البرلمان أنه قد تلقي اعترافا بهذا الاستقلال من جمال عبد الناصر رئيس وزراء مصر وسلوين لويد وزير خارجية بريطانيا وهكذا تم استقلال السودان وطويت قضية الاتحاد بين السودان ومصر إلي حين ولا نقول إلي الأبد.

(1) قراءة فى مذكرات صلاح سالم، أحمد زكريا الشلق، صحيفة الشروق، 22مارس 2013